تسع سنوات من عمر الجبهة الشعبية

نضال مستمر من اجل بناء وحدة فلسطينية حقيقية

ادركت الجبهة الشعبية منذ انبثاقها ، الاهمية العظيمة لموضوعة وحدة فصائل حركة المقاومة ، والجبهة الوطنية الفلسطينية ، واولت اهتماما قياديا وقاعديا وبالممارسة الى قيمة وضع اسس عملية تكفل صياغة ادق وتنفيذ اصدق لهذا الموضوع الهام .

واذا كانت جميع فصائل الثورة الفلسطينية ، قد اولت هذا الموضوع اهتماماتها ، وعبرت عن ذلك ببيانات وكتيبات متعددة ، فان ما يميز اهتمام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين عن بقية الفصائل من انها كانت وهي تعالج موضوعة الوحدة الوطنية الفلسطينية ، تهاجم وتنتقد الصيغ الفضفاضة والعامة التي كان يطرحها البعض للوحدة الفلسطينية من ناحية ، وتقف ضد الصيغ المحددة التي تنبثق من تعصبات تنظيمية ضيقة كانت تهدف الى استمرار النهج القائم في منظمة التحرير الفلسطينية واخضاع فصائل حركة المقاومة لهذا النهج من ناحية اخرى .

كما ان الجبهة وهي تتصدى لموضوع الوحدة الوطنية الفلسطينية ، ادركت انه ليس اية وحدة بين فصائل الثورة هي المطلوبة ، فليس المقصود على سبيل المثال ، تشكيل وحدة « وطنية » فلسطينية تتجه لبناء دويلة فلسطينية ، وتمارس باسم الشعب الفلسطيني الخيانة الوطنية ، وقد رفضت الجبهة وما تزال هذه الاشكال الرجعية من (الوحدة الوطنية » .

وقد جابهت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مصاعب متعددة ، وهي تعالج موضوع الوحدة الوطنية ، وكانت تصطدم وباستمرار مع بعض فصائل حركة المقاومة حول موضوع تحديد الاعداء الرئيسيين ، ووضع برنامج مشترك لمجابهتهم .

ويمكن اجمال هذه الملاحظات على النحو الاتي :

اولا : في سيرة الثورة الفلسطينية في الساحة الاردنية واللبنانيه توفرت اكثر من فرصه . كانت اوسع القطاعات الجماهيرية وقواعد المقاومة تطالب بحسم الموقف ثوريا مع الرجعية الاردنية واللبنانية لصالح الثورة الفلسطينيه والحركة الوطنية ، ووقفت قيادات المقاومة والحركة الوطنية موقفا مترددا ومساوما ، وكانت فرصة تاريخيه امام الجبهة الشعبية للافادة من هذه الحالة وانتزاع زمام القيادة عبر خطة منهجية عامة لتعبئة الجماهير . رب قائل ان هذا غير ممكن لان الجبهة لا تمثل الفصيل الرئيسي الاول في الساحه ، ولكن في التاريخ امثلة عديدة على الحالات التي تحدثنا عنها . بعد ثورة شباط ١٩١٧ في روسيا كان الحزب البلشفي اقلية اذا ما قورنت مع حزب المناشفة ولكنه استطاع الافادة من حالة الجماهير واستطاع تطوير مواقعه في صفوف الجماهير ووفر كل الشروط التي مكنته من استلام السلطة . رب قائل ايضا ان كل هذا صحيح لكن الظروف التي احاطت بعمل الثورة الفلسطينية تجعل امكانية تكرار التجربة السوفياتية امرا مستحيلا . بيد ان تجربة اليمن الجنوبية تشير الى ان هذا الاعتراض غير ذي بال، فالانظمة العربية كلها وخاصة الانظمة المحيطة باليمن الجنوبي كانت تعارض استلام السلطة من قبل الجبهة القومية ومع ذلك انتصرت الجبهة القوميه وهزمت جبهة التحرير التي تدعمها الانظمة العربية .

ثانيا : اقامت الجبهة الشعبية علاقات تحالفية وطيدة مع بعض الانظمة العربية . ونحن نرى ان هذه العلاقات تركت انعكاسات غير ايجابية على مسيرة الثورة العربية . وليس هنا طبعا مجال توضيح هذه الانعكاسات .

على كل حال اذا كنا نسجل هذه الملاحظات النقدية حول بعض جوانب الخط السياسي للجبهة الشعبية ، فليس من باب المزاودة وتسجيل المواقف بقدر ما هو محاولة لتوفير المناخ لقيام حوار ثوري جدي بين كل القوى الجذرية في الساحة العربية ، يهدف هذا الحوار الى وضع حد نهائي للمسيرة المتعثرة للثورة العربية عبر صياغة الشروط الضرورية والصارمة لبناء حزب الثورة العربية الحزب الشيوعي العربي .

واخيرا ، وفي هذه المناسبة نتوجه الى قيادة وكوادر وقواعد الجبهة الشعبية بأحر التهاني متمنين لهم التوفيق في مسيرة الثورة ، ونعاهدهم ونعاهد كل جماهيرنا الكادحة العربية وكل كوادر ومناضلي الثورة العربية اننا لن نلقي سلاحنا الا بعد تصفية الطبقات السائدة وطرد الوجود الامبريالي من البلاد العربية واقامة الجمهورية العربية الاشتراكية الموحدة في ظل ديكتاتورية البروليتارية .

زاهر الخطيب

■■

عالجت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين موضوع الوحدة الوطنية الفلسطينيه دون انسلاخ عن الواقع العملي الملموس لطبيعة تكوين فصائل حركة المقاومة ، ولهذا فقد رأت الجبهة الشعبية ان وحدة العمل الفلسطيني يمكن ان تتجسد بصيغة جبهوية مرنة ترتبط ببرنامج عمل سياسي موحد وخطة عسكرية واحدة ، مع احتفاظ المنظمات باستقلالها التنظيمي والايديولوجي الداخلي وذلك لان عملية دمج التنظيمات كلها بتطلب قناعة مشتركة قد يساهم في ايجادها الطابع المرن السابق للوحدة الوطنية.

وقد حددت الجبهة علاقات فصائل الثورة الفلسطينية ببعضها ضمن اطار الوحدة الوطنية على اساس الاستقلال التنظيمي لكل فصيل وحق كل فصيل في طرح وجهة نظره من القضايا التي لم يتم الاتفاق عليها بين مجموع الفصائل داخل مؤسسات واطارات الجبهة الوطنية المتحدة لخلق حالة تسمح بالارتقاء بهذه الجبهة الى حالة ارقى على ان يكون كل تنظيم ملزما بتنفيذ القرارات التي يتم اقرارها بالاغلبية النسبيه ، كما انه لكل فصيل الحق من توضيح موقفه جماهيريا في القضايا السياسية المختلف عليها والتي لم يتخذ بها قرارات ملزمة على اساس الاغلبية النسبية .

■■ الاتفاق على حد ادنى

هذا من الناحية التنظيمية ، أما من الزاوية السياسية فقد وضعت الجبهة حد سياسي أدنى يجب الاتفاق عليه من اجل اقرار الوحدة الوطنية الفلسطينية . مع تأكيد الجبهة على الامن من الصعوبة بمكان الاتفاق التام والشامل حول هذه الخطوط . وهذا الحد يتضمن :

- استمرار القتال ضد اسرائيل وتصعيده حتى الانتصار النهائي .
- التأكيد على رفض كافة المشاريع التسووية سواء تحت عنوان الكيان الفلسطيني او الدولة الفلسطينية او اي عنوان اخر ، والتأكيد على ان بهدفنا هي التحرير الكامل لارضنا ووطننا من خلال درب التحرير الشعبية طويلة الامد .
- اعتبارات الصدام بين الثورة الفلسطينية والانظمة الرجعية امر حتمي ، باعتباره واقع مفروض لا يمكن تجاهله .
- اقامة اوثق العلاقات مع الجماهير العربية وقواها الوطنية والتقدمية لخلق حالة جماهيرية عربية تستند لها حركة المقاومة ، والانتقال بهذه الجماهير من حالة المصفقين لابطال من بعيد الى حالة فاعلة ومؤثرة تسند فعلا حركة المقاومة في مواجهة كل المؤامرات والمشاريع التصفوية .
- تحديد علاقتنا مع الانظمة العربية من خلال مواقف هذه الانظمة من مجمل قضايا الثورة الفلسطينية وبشكل خاص المشاريع التصفوية .
- اقامة اوثق العلاقات مع البلدان الاشتراكية وحركة التحرر العربية والعالمية .

■■ صراع مرير داخل منظمة التحرير

وضمن هذه الرؤية العلمية للوحدة الوطنية ، خاضت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين صراعا سياسيا مريرا داخل منظمة التحرير الفلسطينية ومؤسساتها واضطرت الى الانسحاب عدة مرات من المجلس الوطني ، وحضوره رمزيا في بعض الاحيان .

الا ان هذا الصراع داخل مؤسسات منظمة التحرير ، لم يسفر عن اي تطوير في صيغة العمل الفلسطيني المشترك ، ولم تتبلور اي صيغة وحدوية تتلائم مع طبيعة المهمات المناطة بالثورة الفلسطينية ، خاصة في ظل المؤامرات المتتالية التي استهدفت رأسها .

■■ العقبات

وقد اشارت الجبهة الشعبية الى الاسباب التي حالت دون تحقيق الوحدة الوطنية الفلسطينية بالرغم من تغني كل الفصائل بها ، وعلى الرغم من القرارات المتعددة التي اتخذتها المجالس الوطنية المستسلمة بالاسباب التالية :

- عدم الاتفاق على تصور مشترك للوحدة الوطنية وصيغتها .
- عدم الاتجاه الصادق نحو تنفيذ القرارات المتخذة بشأن الوحدة الوطنية الفلسطينية . والاكتفاء بالمزايدات اللفظية والانجرار وراء الصيغ السطحية وغير الجدية للوحدة الوطنية .
- عجز منظمة التحرير عن تشكيل الاطار الثوري للعمل الموحد ، ذلك ان جميع محاولات الوحدة الوطنية والخطوات التي اتخذت بشأنها تمت خارج اطار المنظمة بدءا من « الكفاح المسلح » الى « القيادة الموحدة » الى البرنامج السياسي الذي اقر في بعض دورات المجلس الوطني .. لماذا ؟؟ لان منظمة التحرير الفلسطينية ولدت في احضان الانظمة العربية واكتسبت شرعيتها ، ولم تجر المقاومة اي تعديل يذكر بعد سيطرتها على منظمة التحرير مما يتناسب مع ظروف العمل الفلسطيني الجديد .
- عدم نضج الظروف الذاتية لكل فصيل في فهم الوحدة الوطنية بما يعني ذلك من تجاوز للتعصب التنظيمي الضيق .

وبعد حرب تشرين ١٩٧٣ وبروز اتجاهات ضمن مخطط التسوية لدى بعض قيادات منظمة التحرير خاضت الجبهة الشعبية صراعا سياسيا مريرا ضد هذه الاتجاهات التي افرزتها طبيعه حرب تشرين التحريكية ونتائجها .

■■ لماذا الانسحاب من اللجنة التنفيذيه ؟

وبالرغم من التعارض الواضح بين موقف الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين وموقف قيادة منظمة التحرير حول موضوع التسوية .. الا ان الجبهة الشعبية تكريسا لايمانها العميق بالوحدة الوطنية كاداة في يد الجماهير الفلسطينية من اجل تحقيق الانتصار ، ظلت حتى اللحظة الاخيرة حريصة على منع العدو من الاستفادة من اي انقسام يصيب حركة المقاومة في هذه المرحلة ، واعطاء فرصة اطول لمحاولة الوصول المشترك الى موقف ثوري حاسم للثورة الفلسطينية . ولاعطاء الجماهير الفلسطينية فرصة اكبر لحماية الثورة الفلسطينية من الانحراف ، اضافة انه وحتى خروج الجبهة الشعبية لم يكن قد اتضح بعد اي موقف منحرف وتصفوي سافر .. هذا ما دفع الجبهة الشعبية الى قبول المشاركة في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية حتى لحظة اضطرارها الى اعلان انسحابها .

الا انه وبعد ان اتضحت معالمه وعناصر الموقف الرسمي الفلسطيني من التسوية وما شكلته هذه المعالم من خروج سافر على الميثاق الوطني الفلسطيني وتجاوز واضح للبرنامج السياسي وقرارات المجلس الوطني الفلسطيني من دوراته المتلاحقة . مما عرض الوحدة الوطنية من قبل بعض القيادات الى الخطر ذلك ان هذه القيادات تجاهلت قرارات المجلس الوطني وتنكرت لارادة الجماهير ، واستجابت لدعوات الانظمة العربية الرجعية .

هذا الوضوح من الموقف من قبل بعض القيادات بالنسبة للتسوية الاستسلامية ، اضطر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مكرهة على تعليق عضويتها باللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية حتى لا تشارك الجبهة الشعبية على اساس ان المنظمة هيكل متخلف لوحدة العمل الفلسطيني - في المساومات الوطنية المطروحة ضمن مشاريع التسوية التصفوية ، وذلك في اواخر ايلول ١٩٧٤ . الا ان الجبهة الشعبية ظلت تؤكد رؤيتها الموضوعية للوحدة الوطنية على اساس انها ليست وحدة فصائل الاستسلام ، انما هي وحدة البندقية المقاتلة والمصرة على الاستمرار في النضال حتى تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني .. وجاءت احداث لبنان الدامية لتطرح من جديد اهمية وحدة العمل الفلسطيني باتجاه نسف المؤامرة . والاستمرار في الكفاح المسلح عبر نهج حرب التحرير الشعبية طويلة الامد .

■■